

مفهوم الذات والجنوح لدى الأحداث: مقارنة تحليلية نفسية لأكانيّة

Self-Concept and Juvenile Delinquency: A Lacanian Psychoanalytic Approach

تاريخ النشر: 2026/06/12

تاريخ القبول: 2026/05/17

تاريخ الإرسال: 2026/01/09

زبّاشي مسلم¹، كركوش فتيحة²

¹ مخبر: الصحة النفسية-تربية-موهبة-إبداع، جامعة بليدة 2، الجزائر،

EMAIL : esm.zabachi@univ-blida2.dz

<https://orcid.org/0009-0001-4379-6497>

² مخبر: الصحة النفسية-تربية-موهبة-إبداع، جامعة بليدة 2، الجزائر،

EMAIL : f.kerkouche@univ-blida2.dz

<https://orcid.org/0009-0004-6078-326X>

الملخص

يهدف هذا المقال إلى تحليل العلاقة المعقدة بين مفهوم الذات والجنوح لدى الأحداث، وذلك من خلال قراءة لأكانيّة. لتجسيد هذه الفكرة انطلقنا من فرضية مفادها أن الجنوح ليس مجرد انعكاس لهيكل معرفي داخلي، بل بوصفه دال داخل نسيج الدوال اللغوية التي تشكّل الذات، مما يجعله رمزاً يأخذ معناه من البنية اللاشعورية. لنكشف عبر السجلات الثلاث (الواقعي، الرمزي، الخيالي) عن الكيفية التي يتموضع بها مفهوم الذات والجنوح في البنية اللاشعورية والعلاقة التي تجمعهم.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الذات؛ الأحداث الجانحة؛ البنية اللاشعورية؛ اللاكانيّة.

المؤلف المرسل: زبّاشي مسلم، الإيميل: esm.zabachi@univ-blida2.dz

Abstract:

This article aims to analyze the relationship between self concept and juvenile delinquency through a Lacanian lens. To illustrate this idea, we begin with the premise that delinquency is not merely a reflection of an internal cognitive structure, but rather a signifier within the fabric of linguistic signs that constitute the self. This makes it a symbol that derives its meaning from the unconscious structure. Through three registers (real, symbolic, imaginary), we will reveal how the self concept and delinquency are situated within the unconscious structure and the relationship that binds them.

Keywords: Self-concept; juvenile delinquency; unconscious structure; Lacanianism.

1. مقدمة:

يُعد مفهوم الذات (Self-concept) أحد تلك المفاهيم السيكلوجية المتجذرة في تقليد نظري متعدد التوجهات مرتكزاً على مفاهيم أكاديمية مثل البنية المعرفية (Cognitive structure) العمليات العقلية (Cognitive processes) التفاعل الاجتماعي. مما يجعله مندرجاً بشكل محوري في فضاء علم النفس الاجتماعي. وتبعاً لهذا الإطار فإنه عادة ما ينظر لمفهوم الذات كما تداول هذا الأمر Marsh and Shavelson (1985) بكونه هيكلًا معرفياً يشكله الفرد حول نفسه والمتعلق أساساً بخصائصه الجسدية و سماته الشخصية، بالإضافة للأحكام والقيم التي تتعلق بهويته وقدراته. كما ان هذا الهيكل يتشكله من خلال تفاعل الخبرات الفردية، التفاعلات بين- ذاتية والمحيط الاجتماعي.

وإنطلاقاً من الافتراض القائل بأن مفهوم الذات يمثل مرجعية معرفية توظّر مختلف سلوكيات الفرد كما يؤكد على ذلك (Markus & Wurf, 1987). فإنه بذلك يعتبر- مفهوم الذات- أحد تلك المفاهيم التي لطالما أستخدمت أكاديمياً في فهم الظواهر النفس-



اجتماعية على غرار الإجرام والجنوح لدى الأحداث المنحرفة وذلك بالنظر للخصوصية التي تتسم بها هذه الفئة عموماً، أين تشهد تقاطع عمليات تشكيل الهوية مع أنماط سلوكية تتراوح بين التجريب، التحدي، والرفض.

وتبعاً للمقاربة المعرفية (Cognitive approach) كما تداوله العديد من الباحثين على غرار Epstein (1973) فإن سلوك الفرد مرتبط بالصورة المعرفية والفكرية التي يشكلها هذا الأخير حول نفسه أو كما يسميها Epstein بنظرية الذات بتالي يتم فالتصرفات التي يقوم بها الشخص هي ترجمة للبنية المعرفية الذاتية. وإعتماداً على هذا السياق الإستمولوجي، فإن علاقة مفهوم الذات بكل من الجنوح الأحداث المنحرفة تتحدد وفقاً لإتجاه سببي خطي أين يكون السلوك الظاهر ناتجاً عن الصورة الفكرية التي يرسمها الشخص عن ذاته.

لكن من وجهة نظر أخرى والتي عادة ما يشار إليها بكونها نقدية فإن هذا الأمر مختلف تماماً، حيث لا يختزال فيها السلوك الإجرامي والمنحرف في التجربة الداخلية للذات كما هو الحال في نموذج "سيكولوجية الأنا" (Ego psychology). انما يفهم في هذا الإطار- كرمز يتم من خلاله التبادل الاجتماعي (social exchange) ويتحدد معناه من داخل هذا التبادل. حيث يتحول فيها الانحراف - في هذه الحالة - إلى رسالة تقوم الذات بإرسالها إلى الآخرين وذلك بغرض المطالبة والأخذ ببعض المطالب الاجتماعية. فهو مثل التعبير المجازي الذي يُقال متجهماً من متكلم إلى مستمع منتظراً في ذلك أن يفهم هذا الأخير المعنى الخفي من وراء ذلك، والأمر سيان مع مفهوم الذات الذي هو الآخر يخضع لنفس المبدأ، وذلك بحكم أن الأفكار والمعتقدات المتعلقة بالذات لاتتشكل من الفراغ، بل هي بحاجة أساسية لما يقدمه السياق الاجتماعي والثقافي من معاني ممكنة حول مختلف التصرفات المقبولة منها والمرفوضة، القيم، الرموز والتي تستند إليها الذات في بناء تصور ما حول نفسها.

وعادة ما يتم إختزال مفهوم الذات و الانحراف لدى الأحداث في النشاط الواعي والفردى أو حتى اللاشعوري في صورته الغريزية ما هو متداول في الفرويدية الكلاسيكية، ما

يؤدي إلى ترك اللغة، الثقافة، الرموز الاجتماعية في مجال اللامتكلم فيه عند قراءة هذه المفاهيم أو تحليلها.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا المقال إلى قراءة العلاقة المعقدة بين مفهوم الذات والسلوك الإجرامي لدى الأحداث، وفقا للسجلات الأكانية (الواقعي، الرمزي، الخيالي) وما تطرحه من مفاهيم على غرار الفالوس، اسم الأب، الرغبة، الآخر الكبير... الخ وذلك بهدف فهم وإستنتاج هذه العلاقة وفقا للبنية اللاشعورية والتي يمكن اعتبارها الرابط الأولي والحتي بين الذات والآخر، أين تصبح فيها الذات وفقا لهذه المنظورية "ذاتٌ لاشعورية" خاضعة لشبكة الدوال، التمثلات والتفاعلات الاجتماعية، والبنية اللغوية.

وإعتمادا على حدود هذه الدراسة والتي أخذت شكلا تحليلياً فإننا نعمل على قراءة وفهم مفهوم الذات وجنوح الأحداث وفقا للأطروحة الأكانية وذلك حتى نتمكن من إستنتاج بعض الإشكالات المسكوت عنها والكشف عن أبعادها الضمنية، وعلى هذا الأساس المنهجي نستطيع الإنطلاق في فحص هذه الإشكالات من خلال الأسئلة التالي:

السؤال الأساسي : كيف تُفهم العلاقة القائمة بين مفهوم الذات والجنوح لدى الأحداث وفقا للمقاربة الأكانية؟

الأسئلة الفرعية : كيف يمكننا تعريف مفهوم الذات في نموذج يرى أن الذات هي ذات لاشعورية محكومة بقواعد لغوية ورمزية؟ وكيف يمكننا تصور الأحداث في هذا السياق الفكري؟ وماهي العلاقات الممكنة بين مفهوم الذات والسلوك الإجرامي ضمن فضاء الحدث الجانح في حدود مفهوم "الذات اللاشعورية"؟

أهداف الدراسة : نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- استكشاف العلاقة بين مفهوم الذات والسلوك الإجرامي لدى الأحداث المنحرفة وفقا للمقاربة الأكانية.

2- قراءة مفهوم الذات وفهمه إنطلاقاً من المفاهيم الأكانية (الواقعي، الرمزي، الخيالي، مرحلة المرأة، الرغبة، الفالوس، الآخر الكبير... الخ). وذلك بإعتبار أن مفهوم الذات كما هو متعارف عليه غير مندرج في القاموس الأكاني.

3- الكشف عن البنية اللاشعورية الكامنة وراء الفعل الإجرامي لدى الأحداث، ورمزية هذا الفعل تبعاً لهذه البنية.

4- فهم الكيفية التي تشكل بها اللغة، الثقافة الإجتماعية، التفاعلات الأولية والثانوية مع الآخرين، مفاهيمنا الذاتية والسلوكات التي تصدر عنا - خاصة المنحرفة والإجرامية منها -

4- الكشف عن الكيفية التي تؤثر بها البنية اللاشعورية في تشكيل مفهوم الذات والسلوك الجانح لدى الأحداث.

أهمية الدراسة: أما من حيث الأهمية فإن هذه الورقة البحثية تقدم قراءة لكل من (مفهوم الذات، السلوك المنحرف والجانح، الأحداث) بأدوات أكانية من شأنها توضيح الأبعاد الخفية والإشكالات اللامتكلم فيها، والتي هي في الحقيقة تنصب على أهمية اللغة، الثقافة، التفاعلات الإجتماعية في تشكيل البنى اللاشعورية والتي بدورها تشكل تصورات الفرد عن نفسه وسلوكاته - خاصة المنحرفة منها - مع الأخذ بعين الإعتبار خصوصية الحدث من حيث تكوينه السيكلوجي . وكل هذا بغرض التأكيد على الرابطة الأساسية والأولية بين الفرد والسياق الإجتماعي، بتالي فهم بنيته اللاشعورية بإعتبارها محكومة بقواعد نفس-إجتماعية.

2. مفهوم الذات والبنوية الأكانية

أوضح (Martín-Talavera et al. (2023 أن مفهوم الذات يمثل ذلك التّصور الذي يشكّله الشخص عن نفسه بكونه يمتلك مجموعة من الخصائص والقدرات والأدوار الإجتماعية. أو كما حدده (Gecas (1982 بإعتباره المفهوم الذي يكوّنه الفرد عن نفسه

ككائن جسدي أو اجتماعي أو روحي أو أخلاقي، أي أنه إشارة لكون الشخص متعدد الأبعاد يحمل مجموعة من السمات المتعلقة بذلك. ومن جهتها أضافت (2022) Lallouna أننا نميل إلى التصرف وفقاً لمفهومنا الذاتي وطريقة تشكله. وتبعاً لهذه التعريفات فإن مفهوم الذات يمثل مجموعة من الأفكار، التمثيلات والصور العقلية التي يشكلها الفرد عن نفسه، وعلى أساسها يقوم بتحديد ما هو عليه وما ينبغي القيام به.

وإعتماداً على بعض المرجعيات النظرية والأدبيات النفسية فإن مفهوم الذات باعتباره بناءً معرفياً (Cognitive construction) يحتاج في تكوينه إلى التفاعلات الاجتماعية بما تحتويه من بني لغوية وقواعد رمزية. الأمر الذي يتماشى مع ما أشار إليه (2005) Marc كون الفرد يُعرّف نفسه انطلاقاً من علاقته التفاعلية مع غيره والجماعات التي ينتمي إليها. حيث إن بناء صورة فكرية عن الذات أو الآخر أو العالم تحتاج في تكوينها إلى اللغة كبنية أولية (Primary structure) لإنتاج المعنى، والتي كما هو متعارف عليها في سياق اللسانيات المعاصرة وفلسفة اللغة بأن معاني الكلمات ومدلولاتها مشروطة باستخداماتها الاجتماعية ومحكومة أساساً بقواعد السياق الاستخدامي أو كما يسميها لودفيج فيتجنشتاين (Ludwig Wittgenstein) "الألعاب اللغوية" (Language Games) الأمر الذي يؤكد على أهمية العمليات الاجتماعية في توليد المعاني، إذ إن إكتساب معاني الكلمات ومدلولاتها ليست وليدة النشاط الدماغي بشكل محض بل هي كذلك سيرة اجتماعية، تأتي من طرف الآخر. شريطة أن يمتلك هذا الأخير سلطة رمزية تسمح له بنقل الإرث اللغوي (بمحتواه الثقافي والرمزي) إلى الذات، وهذا ما نسميه عملياً بالتنشئة الاجتماعية التي يتم من خلالها بناء القيم المعايير، والمعتقدات في الذات.

وبغرض تحليل مفهوم الذات بشكل بنيوي، فإننا سنلجأ إلى الترسانة المفاهيمية للتحليل النفسي اللاكاني (Lacanian psychoanalysis) وفقاً لسجلاته الثلاث: الخيالي، الرمزي، والواقعي. وإن كان هذا الإطار لا يستخدم مفهوم الذات ضمن تحليلاته أو مفاهيمه إلا أننا نستطيع قراءته بأدوات لأكانية.

بداية فالذات (The Subject) عادة يشار إليها من ثلاث مواقع لغوية أساسية، الأول: يتمثل في ضمير المتكلم (I)، أما الثاني: فهو بدلالة المفعوله به (Me) الثالث فهو صفة للملكية (My). وتبعاً للقراءة الأكانية فإننا سنشير إلى الذات (The Subject) تبعاً للموقع الأول والثاني، وذلك بإعتبارهما مندرجان في الذات اللاواعية.

حيث يمثل ضمير المتكلم (I) تبعاً ل (Corvez 1968) علامة لغوية تحيل إلى الذات (The Subject) بإعتبارها ذات ناطقة، فهي تشير بذلك إلى تلك الفسحة التي تتكلم عن نفسها. وهي كما جاء في نص (Leguil 2019) أن ضمير المتكلم (I) هي أنا الكلام واللغة، والتي تُفسح المجال للوعي. والتي تندرج في النظام الرمزي، فهي تعتبر إشارة داخل البنية اللغوية تحيل إلى الكائن الناطق (Speaking being) بإعتباره فاعلاً في الجملة اللغوية. أما بالنسبة للذات بإعتبارها الأنا (Me) فهي كما عبرت عن ذلك الحديني (2012) بكونها صورة الذات المتخيلة والمرهونة أساساً بمرحلة المرأة (Mirror stage) و تعتبر هذه المرحلة وفقاً لما جاء عند (De Abreu E Silva 2004) ترسيخاً للنرجسية الأولية (Primary narcissism) ونشأة الأنا (Me). ومن وجهة نظر بنيوية فإن الأنا (Me) لا تتشكل بمعزل عن الآخر، حيث نستطيع ملاحظة هذا الأمر وفقاً ل (Lofts and Rosemann 1994) فعند الطفل لرضيع الذي لا يكتشف وحدة أعضائه المختلفة إلا بعد النظر إلى نفسه "كالآخر" والتي يقصد بها إنعكاس صورته في المرأة بشكل أساسي. لذلك فإن أول ملمح للفرد كوحدة "هوامية" (Fantasy) مرتبط بصورته المنعكسة في المرأة، والتي تأتي ضمن "مرحلة المرأة" (Mirror stage) التي تكون ما بين 6-18 شهر. ومن زاوية أخرى فإن نجاح هذه العملية مرهون بوجود خطاب يشير إلى أن الجسد المنعكس في المرأة هو نفسه جسد الطفل، مما يسمح له بالتعرف على صورته المنعكسة بوصفها صورة جسده، ويرتبط هذا الأمر عادة بالأم والتي حسب (Cadiou 2018) بنظرها إليه من خلال انعكاسه المرآوي وقولها: "هذا أنت" هي في الحقيقة تخبره بأن هذا الجسد هو جسده، مما يدفعه نحو التماهي (Identification) مع هذه الصورة بإعتبارها حقيقة، الأمر الذي يفتح المجال للتماهيات المستقبلية بما يتوافق مع هذه الصورة. و

نجد تأكيداً لهذا الطرح مع (Reis 2018) اين يكون التماهي الأولي مع صورة المرأة هو أساس التماهيات المستقبلية الأخرى.

إلا أن هذا التماهي رغم إدراجه في السجيل الخيالي (Imaginary Order) فهو بحاجة للنظام الرمزي في عملية إنتظامه. ويمكن ملاحظة هذا الأمر مع خطاب الأم إتجاه الطفل، فعبرة "هذا انت" هي علامة (Sign) يتم من خلالها التعرف على الصورة المنعكسة بكونها هي نفسها "ذات الطفل" وحسب (De Abreu E Silva 2004) تقوم هذه العملية بتحديد مكان الطفل في العالم وذلك بإعتباره متميزاً عن الأم رغم حاجته إليها، وبفعل تماهيات الطفل مع موقعه في خطابها - اي الأم- وتعرفه على صورته في المرأة يُستبدل ضمير "أنت" ب "الأنا" التي تصبح في النهاية دال لغوي يشير إلى الأنا المتخيلة (Me). وتبعاً لذلك فإن علاقة (I) ب (Me) تشبه إلى حد بعيد العلاقة بين الرمزي بالخيالي.

ومن جهته أضاف (Lofts and Rosemann 1994) بكون الذات (The Subject) لا تُدرك نفسها كذاتٍ إلا من خلال اللغة وتركيباتها النحوية، لأن الوعي الذاتي يفترض مبدئياً أنه بإمكانه التكلم عن نفسي وفق ضمير المتكلم "أنا" (I). وفي هذه الحالة، يتموقع الضمير (I) كدال مركزي داخل نسيج القواعد النحوية والدلالات اللغوية، منظماً بذلك الوحدات الدلالية لكي تشير في النهاية إلى الأنا بإعتبارها (Me). وعلى ذلك فالأنا (Me) تحتاج تموقع ضمير المتكلم (I) كنقطة مركزية في الخطاب او الجملة لتتجهل هذه الأخيرة بالشكل الذي يجعل مختلف الدوال والتمثلات داخل الخطاب او الجملة ترجع إلى الذات كففاعل فيها،

وهنا يأتي دور التماهي الأولي مع الصورة المرآوية والذي يسمح بتخيل الذات وهي ترتبط وتتماهى هذه الدوال والتمثلات. وعلى ذلك فالضمير (I) تبعاً لهذا الطرح يرتبط الصورة المرآوية والمستخدلة في الذات مع العالم المحيط بها بإعتبارها عالم يشار إليه من خلال الكلام. وإعتماد على هذه العملية تتحول الذات (The Subject) إلى أنا (Me) يمكن تخيلها والتفكير فيها، كما لو كانت موضوعاً (As a object) يمكن وصفه.

ويمكننا توضيح هذا الأمر أكثر من خلال تقديم مثال يدور حول كلام حالة مراهق عن نفسه، وذلك في إطار دراسة توهي (2018). حيث يصف فيها لمراهق نفسه من خلال العبارة التالية: أنا مستقل عن الآخرين، لا أشبه أي شخص آخر، أحب أن يكون لي أسلوب خاص.

فهذا التعريف يتضمن:

- تأطير الضمير المتكلم (I) للعبارة بشكل مباشر أو ضمني لتجعل مختلف الوحدات الدلالية قادرة على الإحالة إلى الذات (The Subject) باعتبارها (Me)، بحيث نلاحظ تموقع ضمير المتكلم أنا (I) قبل كلمة "مستقل" و"عن الآخرين" في الجملة، للتموقع هذه الكلمات - في سلسلة الدوال (Signifier) - بالشكل الذي يجعلهم يهيكلون لأجل وصف وتعريف الأنا المتخيلة والإخبار عنها.

- وبدوره يتموقع هذا التعريف "أنا مستقل عن الآخرين" في سلسلة من الدوال بحيث أنه سيشير هذا الأخير لأمحال إلى جمل أخرى تعكس تمثلات الشخص عن معنى الإستقلالية نفسه على غرار "لا أشبه أي شخص آخر"، "أن يكون لي أسلوب خاص"، وتستمر السلسلة.

- أن يكون لمفاهيم مثل الإستقلالية، التشابه وعدم التشبه، الأسلوب... الخ معاني متفق عليها إجتماعيا ومتعارف عليها، الأمر الذي يجعل من هذه العبارات تحمل معنى ما.

صحيح أن هذه التعاريف ليست إلا محاكات، إذ أن معرفة محتوى الدوال وحركتها تحتاج لخطاب المبحوثين في عمل ميداني وبدون ذلك فالأمر غير ممكن إلا "كإفتراض". لكن ما يهم في سياقنا التحليلي هو: أننا في عملية بناء تعريف حول أنفسنا نحتاج للإنتقال من دال آخر حتى يكون هذا التعريف مهيكل ومنظم بصفته قابلا للوصف وبتالي إمكانية تحديد مسار التماهيات داخله. ومن جهة أخرى، فإن هذه التمثلات هي عناصر تركيبية تستخدم لتعريف الذات أو بلغة تحليلية هي مرهونة بالأنا (Me)، هذا بفعل موقعية ضمير المتكلم

(I) في الجملة (على المستوى الرمزي) و التماهي الأولي مع الصورة المرآوية المنعكسة (على المستوى الخيالي) لتكون مختلف التمثلات والعبارات الآتية بعد ضمير "الأنا (I)" قابلة للتماهي، وبالتالي تصبح وحدات دلالية تشير إلى الأنا باعتبارها (Me)

ومن زاوية أخرى فإن إرتباط الأنا (Me) بالتمثلات، الدوال و التماهي معها، يحتاج وجود معلم مرجعي الذي من خلاله تبنى العلاقة بين الذات (The Subject) والعالم الخارجي، ويتمثل هذا المعلم في: الآخر الكبير. فهو المصدر التي تأخذ منه محتويات الأنا (Me) معانيها. حيث ان التمثلات التي تم التماهي معها، هي في الحقيقة تستلزم وجود سلطة خفية من شأنها إعطائها معنى و دلالة وإعتراف.

فمنذ البداية كان الطفل بحاجة لنظرة وكلام الآخر حتى يتعرف على انعكاس صورته المرآوية بكونها ذاته وعادة ما يتم تقديم هذا الأمر من طرف الأم. وليس هذا فحسب، بل إن الطفل في حركة تماهياته بحاجة ليكون على دراية بمحتوى التمثلات ضمن سياقها الإستخدامي والتي تكون شديدة الإرتباط بالرموز الإجتماع- ثقافية، حيث تقوم هذه الأخيرة بتحديد معنى التمثلات وذلك باعتبارها تحتوي على رأسمال رمزي (Symbolic capital) مما يجعلها قابلة للتماهي معها. وهذا ما يندرج في عمل الآخر الكبير (Big other) باعتباره الفضاء الذي يحدد معاني هذه التمثلات تبعا للقواعد الإجتماعية والثقافية، وكأثر لذلك يتماهي الفرد مع بعض التمثلات نظرا لما تقدم له من إعتراف اجتماعي. اي باعتبارها مرغوبة من طرف الآخرين الذين يأخذون صفة الندية -أي الآخر الصغير (The Little other)-. وبالتالي، فإن (Me) "يتم استحضاره من طرف الذات مع وإلى الآخر" (الحديني، 2012، ص 23). وعلى ذلك، فالتماهيات التي يبنمها الفرد حول ذاته لا تُشتق من خبرته الداخلية فقط، وإنما تتشكل -كما يوضح لكان- بفعل علاقة أساسية بالآخر.

3. الإنحراف والنظام الرمزي:

يعتبر السلوك الإجرامي (Criminal behavior) قبل أي تنظير أو قراءة تحليلية هو ذلك الفعل الذي يعاقب عليه قانونيا بما يتوافق مع قانون العقوبات (Penal code)



حيث إن " الجريمة = نص تشريعي + فعل مخالف للنص " (الحيدري، 2009، ص11). ما يعني ان فعل التجريم يقام ضمن حدود الدولة بمفهومها الحدائي، وفقا لمؤسسات رسمية تمثل الإرادة العام أو الشعب (السلطة التشريعية-السلطة التنفيذية-السلطة القضائية). وباعتبار ان الشعب هو مصدر كل سلطة كما هو متداول في دستور الدول الحديثة، فإن القانون ينطلق من هذا المصدر ولغرض هذا المصدر نفسه. بتالي فالسلطة التي من شأنها إصدار القانون ينبغي عليها "ان مورست يجب ان تكون في صالح حياة المجتمع" (الشاوي، 2011، ص26). مع العلم ان ماهو صالح للمجتمع يتغير بشكل دائم، ذلك لإرتباطه بالبناء الاجتماعي (Social construction) والمتسم أساسا بالحركة. فالمصلحة العامة من حيث المبدأ هي ممارسة إجتماعية وسياسية بدلا من كونها تنظيرا مجرداً، وإثراً لذلك فهي توليفة ناتجة عن الصراع القائم بين التوجهات السياسية والاجتماعية. وبمعنى آخر فإن مضمون الحقوق والحريات ليست بمعطى طبيعي بل هي نتيجة للنشاط الفكري والإيديولوجيا من جهة، والنضال السياسي من جهة أخرى. مما يجعلها تتغير بشكل الدائم بتوافق مع النشاط الاجتماعي والسياسي. وبذلك فالجريمة هي الأخرى تخضع لنفس السيرة.

وانطلاقاً من هذه التركيبة الاجتماعية الكامنة وراء قانون التجريم والعقوبات، فإننا ننتقل من مفهوم الجريمة إلى الانحراف (Deviation) وذلك بغرض فهم وإستنتاج السلوك الإجرامي من داخل السيرورات النفس- إجتماعية.

وعلى أساس العقد الاجتماعي (The Social contract) الذي يخول لمختلف الجماعات بأن تمتلك حقها في النضال السياسي، والدفاع عن ماهو مقبول وماهو مرفوض في إطار مؤسسات رسمية. فإننا نسلم بكون الانحراف هو الوجه السوسيولوجي للإجرام. ذلك بإعتبار أن الانحراف مرتبط بالمعايير والقواعد الاجتماعية في حين ان الجريمة مرهونة بالتشريع القانوني. وإستناداً لهذا، فإننا نشير للانحراف بإعتباره وكما جاء عند Nalah and Ishaya (2013) بكونه يمثل تلك السلوكيات التي تنتهك الأعراف والقيم والتوقعات السائدة في المجتمع، وليس هذا فحسب بل يمثل إنتهاك للمعيار الاجتماعي بحد ذاته. ومن جهته يضيف Clinard and Meier (2011) بأن الانحراف يتعلق بالسياق الذي يحدد ماينبغي القيام به وما لا ينبغي وذلك في ظل ظروف معينة، بالإضافة لذلك فإن

الإنتهاك بحد ذاته يتطلب وجود استنكار وعقوبات إجتماعية- ليست قانونية- تحده، وكما تصور ذلك (Goode 2015) فإن هذه الإنتهاكات تجذب، أو من المحتمل أن تجذب، الإدانة والوصمة والعزلة الاجتماعية واللوم و/أو العقاب الاجتماعي.

وإعتمادا على هذا التصور، فإن الانحراف لاوجود له بمعزل عن البناءات الاجتماعية والأنظمة الرمزية التي تحرمه، فهو من حيث المبدأ يتطلب وجود خطابات من شأنها تحديد المقبول والمرفوض، والتي تحيل بعض السلوكات إلى رموز يمكن استخدامها في عملية التبادل الاجتماعي (Social Exchange). فلا يمكن للتمرد على سبيل المثال أن يوجد إلا إذا كنا نعرف ونعترف بمبدئيا بأن هناك سلوكات مقبولة وأخرى مرفوضة تماما، والسلوك التمردى بذلك يمثل القيام بما هو مرفوض اجتماعيا مع معرفة كونه كذلك.

وهنا بالضبط تتمظهر أحد الإشكاليات الكبرى للانحراف، حيث إن كل جماعة تعرفه تبعا لمعاييرها ورموزها ومرجعياتها. الأمر الذي يؤدي إلى نسبية معيارية في تحديده. ومن ناحية بنائية فإن إعتبار سلوكاً ما بكونه منحرفاً مرهون بمدى قوة بعض الجماعات وهيمنتها الرمزية على حساب جماعات أخرى، الأمر الذي يخول لها القدرة على إنتاج خطاب يحدد ماهو مقبول ومرفوض للمجتمع وفقا لمصالحها ووقيمها وآفاقها الرمزية. ولهذا بالضبط لايمكن للانحراف ان يكون مفهوما ثابتا ضمن حدود مجتمع معين، فهو يُقام على صراع رمزي بين جماعات تختلف من حيث قيمها ومرجعياتها. وعلى ذلك، فلا تعيين لما هو "منحرف" إلا بكونه متغيراً يخضع لديالكتيك (Dialectic) اجتماعي-طبيقي.

لكن حتى لا ننته في القراءات السوسيولوجية، ونبتعد في هذه الورقة البحثية عن آفاقنا النظرية فإننا نهتم أكثر بالانحراف كفعل يرمز لإنتهاك أو حتى إنكار (Denial) قواعد "إسم الأب" (Father The Name of the) التي تكمن وظيفتها الاجتماعية في ضمان العيش المشترك، وعن طريقه تنتظم الرغبة بما يتوافق مع هذه القواعد.

وتبعا لهذا القراءة فان السلوكيات المنحرفة تمثل رموز تتكلم من خلالها الذات، بإعتبارها في موقع صراع مع السلطة الرمزية بما ينطوي عليه هذا الصراع من إدراك لها- السلطة- دون الإعتراف بقيمتها. الأمر الذي يحيل إلى موقف رافض "للدالكتيك" معها، أين تكون كمقاومة لاشعورية لأي حلول او توليفات جديدة بين المتعة (Pleasure)

والتحريمات الاجتماعية. ووفق للمنظور اللاكاني فإن الإجرام بصفة عامة لا يفهم كالسلوك مخالف لمضمون قانوني معين أو إختراق لقاعدة إجتماعية ما، بل ما يهم في ذلك هو الفعل بحد ذاته الذي يعتبر إختراقاً للنظام الرمزي الذي بواسطته تستطيع الذات إقامة تبادل إجتماعي بما يضمن تنظيم الإختلافات القائمة بينهم وتأطيرها بأساليب تمنع حدوث إنزلاقات نحو إلى الهمجية.

إذن، فالذات في شكلها المنحرف تعتمد على أعراضها الإنحرافية كحل باثولوجي في التعامل مع التلذذ (Jouissance) والتي يتعذر ترجمها إلى Enjoyment لدواعي نظرية) والتي تتمظهر وفقاً لما جاء عند Korzine (2024) بسعي الشخص وراء إشباع فوري، غير قادر على تغيير غاية دوافع ونزواته الأصلية نحو مواضيع جديدة، حيث أن المظاهر الأولية المرتبطة بالمرحلة المبكرة من النمو، تصبح منحرفة لأنها تتعارض مع قواعد المجتمع. الأمر الذي يعكس على حد تعبير Silva De Abreu E(2004) الشكل الطفولي لإمتلاك الفالوس الخيالي (The Imaginary phallus). والذي يلاحظ بشكل جلي عند المراهق الجانح بإعتباره رفضاً لاشعورية لعدم امتلاك القضيب.

حيث يندرج هذا الهوام في الوضعية ما قبل الأوديبية، والتي يتمها في الطفل مع موضوع رغبة الأم وذلك بإعتباره موضوعاً لإشباع رغبته. إذ يتحول الطفل بذلك وفقاً للقاموس اللاكاني إلى فالوس (Phallus) الأم مالم يدخل الأب كعنصر ثالث من هذه المعادلة، وتبعاً لهذه الوضعية (طفل-أم) يبقى الطفل أسير لهذا التماهي مفترضاً بذلك حسب (Koreicho 2018) نوعاً من الكمال النرجسي (Narcissistic perfection) بما يحتويه من هوام القدرة الكلية (Omnipotence fantasy). وإستناداً لهذا التوقع البنيوي، يتخيل نفسه بإعتباره كل شيء بالنسبة لها- أي الأم- أو بتعبير Quentric (2013) كمنقض لها.

وعلى ذلك فالخروج من هذه الوضعية، يتطلب التحول من علاقة ثنائية (طفل-أم) إلى ثلاثية (طفل-أم-أب) أي الإنتقال إلى الوضعية الأوديبية التي من عملياتها الأساسية الإخصاء الرمزي (Symbolic castration) وهو كما ورد عند (Florence 2005) المسؤول عن وضع حدود التلذذ (Jouissance) وقبول ذلك بما يتوافق مع القواعد

الإجتماعية المشتركة. والتي تعني في سياقنا البحثي إخصاء الصورة المثالية بقواعد الأب الرمزي. لكن ما ينبغي توضيحه في هذه النقطة بالضبط هو الطابع المجازي لكن من الأم والأب، فهما وظيفتان تتشكل من خلالهما الذات بدلا من اعتبارهم شخصان واقعيان وإن كانا يتجسدان في شخصا الوالدين.

ويمكننا شرح هذا الطابع إنطلاقا من الربط الذي قدمه (2015) Dupret بين الأحداث الجانحين وعدم التوجيه التربوي، وبالنسبة له فإن الإنحراف لدى الأحداث مرهون بالإشكال التوجيهي والتربوي، حيث لم تنقل لهم القيم الأخلاقية والخلفية الإجتماعية التي كان من المفترض أن يرثها الجميع أو على الأقل لم تنقل بالشكل الكافي والمناسب. وفي قراءة لأكانية للتوجيه، فإنه يمثل هو الآخر أحد الوظائف الأبوية التي من خلالها يفهم الطفل أن هناك ما ينبغي القيام به تبعا لقواعد يجب الرضوخ إليها وإتباعها، فهي بتالي إستعارة عن (إسم الأب) والذي يكمن دوره كما جاء عند (2024) Korzine في إرساء نوع من القانون التي تسمح بقول "لا" لبعض الرغبات المباشرة، مما يؤدي بالطفل لإدراك وجود قواعد إجتماعية وحدود في العالم. وتبعا لهذه الإستعارات يفهم الطفل بأن هناك ما يتجاوزها من قواعد وتحريمات إجتماعية، والتي ينبغي عليه الإمتثال لها. فالمطالبة بالخضوع للقواعد كما هو الأمر في عملية التوجيه التربوي هو دليل على أن الطفل بحاجة لإمتلاك أشياء أخرى- تبني القواعد الإجتماعية- لأخذ الحب، وهو في ذلك مجبر على التماهي مع هذه القواعد ليكون محبوبا.

فالتوجيه أو التنشئة هي في الحقيقة وضع الذات المتخيلة في مواجهة نقصانها الأمر الذي يكون من خلال تموضع الأب (وظيفة إسم الأب) كحلقة ثالثة بين الطفل- أم: بما أن الأم تطلب من الطفل الخضوع للقواعد الإجتماعية، فإن الطفل في ذلك يفترض أن موضوع رغبتها عند الأب- الرمزي- بإعتباره واضعا للقانون، مما يؤكد للطفل بأنه ليس موضوعاً كلياً لإشباع رغبة الأم ولا يستطيع أن يكون كذلك. وهذا ما يدفعه نحو الإنتقال من كونه موضوع لرغبتها إلى ذات ترغب في امتلاك الموضوع الذي يُفترض أنه موجود عند الأب. وهنا تحدث عملية إخصاء للذات المثالية ويدحض هوام القدرة الكلية، لصالح التماهي مع إسم الأب. ولهذا بالضبط يكون التوجيه تأكيداً على نقصان الذات وعدم كماليتها.



"وبما أن الأب الرمزي لا مكان له في رغبة الأم، فإن عملية الإخصاء مستحيلة (p 87, Silva De Abreu E, 2004) إذ تشهد طفولة المنحرف غياباً لوظيفية للأب مما يجعله أسيراً لعلاقة ثنائية، متمركزة بذلك حول صورته الخيالية المثالية. متوهماً إمكانية بقاء التلذذ بشكل يتجاوز الرموز والمحرمات الاجتماعية، وهذا ما يدعونا أساساً لإعتبار أن الذات الإنحرافية هي في وضعية رفض، مقاومة أو حتى إنكار الخصاء الرمزي. ويمكن تحليل هذا الوضع بشكل أكثر دقة من خلال العبارة التالية: "إذا كانوا لا يحبوني ويحترموني، فليخافوا مني على الأقل؛ بهذه الطريقة فقط سوف يشعر المنحرف بأنه موجود، وبدون هذا فإن خطر الشعور بعدم الوجود يهدده حقاً". (Alami, 2017, p 321)

حيث يصنف المراهق المنحرف نفسه منذ البداية: بكونه غير محبوب، وعلى ذلك فإن ردة فعله المناسبة هي جعلهم يخافون منه، وإنطلاقاً من الوضعية ماقبل الأوديبية فإننا نستطيع أن نتصور الشخص كآلي: بكونه يفترض أنه موضوع كلي لرغبة الآخر فهو في ذلك بمنأى عن الرموز الاجتماعية في تفاعله مع الآخرين، أين يتوهم إمتلاك سر رغبة الآخر ومتمثل أساساً في الفالوس الخيالي، مما يجعله أسيراً لهوام القدرة المطلقة التي تتعلق بالكمال النرجسي. لذا، فتصرفات الآخرين أو ردود أفعالهم إتجاهه تفسر انطلاقاً من هذا التوقع الأمر يجعله غير قادر على قبول الإحباطات الناتجة عن ذلك والتي تشير إليه بكونه كائن ناقص.

فالإعتراف المراد الحصول عليه تبعاً لذلك هو إعتراف بالصورة النرجسية الكاملة، وطلب الحب في هذا السياق يأتي لخدمة هذا التوقع وكذلك الخوف. أين يأتي الجنوح كطريقة لسد ومنع كل ما من شأنه أن يثير نقصان الذات. بالتالي فالصراع مع الأب رمزي في سياق ما قبل أوديب لا يُعنى برفض القواعد الاجتماعية أو محتوياتها إنما بإنكار نقصان الذات وحاجتها البنائية للآخر الكبير (Big other)، وهذا ما يتنافى مع طبيعة الحياة الاجتماعية برمتها والتي تتطلب ذوات يحكمها النقصان خاضعة بذلك للأنظمة الرمزية.

4. الحدث الجانح والإشكال النرجسي

عرّف Frazier et al. (2024) الحدث المنحرف بأنه قاصر لم يبلغ سن الرشد بعد، قام بفعل أو أفعال تعتبر جرائم جنائية وسلوكيات غير قانونية، مما يجعله تحت تصرف محاكم الأحداث. وفي سياق قانون العقوبات الجزائري فإن المادة 49 تؤكد أنه "لا توقع على القاصر الذي لم يكمل الثالثة عشرة إلا تدابير الحماية أو التربية، ومع ذلك فإنه في مواد المخالفات لا يكون محلاً إلا للتوبيخ. ويخضع القاصر الذي يبلغ سنه من 13 إلى 18 إما لتدابير الحماية أو التربية أو لعقوبات مخففة. (لعوارم، 2018، ص. 171) وبالرجوع لهذه المرحلة، فهي تتسم بتركيبية نفسية شديدة التعقيد نظراً لكونها وسيط بين الطفولة والرشد أو كما وصفها Cannard (2019) فإن الفرد فيها "لم يعد طفلاً، ولم يصل بعد إلى مرحلة الرشد". ولكونها مرحلة تحولات جسدية وسيكولوجية كبرى، فهي تتضمن إعادة تشكيل للرغبات والتمثلات الذاتية، مما يحيل الأمر إلى مواجهة تحديات هوياتية لا مناص منها. ومن وجهة نظر لأكانية فهي كما عبر عن ذلك (2011) Canonge لقاء مفروض مع واقع البلوغ (The Real of puberty) والتمظهر أساساً على المستوى الواقعي (The Real) للجسد. بإعتباره تغييراً في بيولوجيا الجسد (خاصة تلك المرتبطة بتغيرات هرمونية وبداية النشاط التناسلي) وصورته التي تختلف عما كانت عليه سابقاً، ليحيط هذا التحول نوع من الغموض الذي عادة ما يعرف في التفسيرات اللاكانية وفقاً ل Carrasco and (2016) Bidaud بفقدان مؤقت للدلالة، والتي حسب Maïdi (2008) تجبر المراهق على مواجهة أسئلة مقلقة تدور حول ذلك، بتالي حول نفسه.

فالمراهق قبل البلوغ كان يعرف نفسه ويتعرف عليها من خلال موقعه داخل خطاب الوالدين وتماهاياته معها، لكن واقع البلوغ بدد هذا التوقع وأعيد تشكيله تبعاً للتغيرات الطارئة. وهذا ما يؤكد Boiron (2011) حيث يؤدي هذا الوضع إلى تمزيق الذات من الطفولة، وإعادة بنائها وفقاً لإستثمارات نزوية في أشياء جديدة، وهو يتضمن كما اشارت إلى ذلك Konrad (2017) عملية تحرر من كونه موضوعاً لهوام والديه ورفضه بذلك موقعه كطفل في خطابهما. معتمداً في ذلك على إنتاج لأسماء الأب واستعارات جديدة عنه، على غرار النجم الرياضي، قائد المجموعة، المعلم، الزعيم السياسي وما إلى ذلك، التي عن

طريقها يقيم علاقة جديدة مع نفسه فاسحا المجال أمام تماهيات جديدة خارج السياق الطفولي.

لذا فالمراهقة تبعا ل Tisso (2023) هي الفترة التي يُعيد فيها الفرد، من خلال انتقاله إلى "الأقران" إطلاق عملية التماهي مع بدائل "اسم الأب" للبحث وإيجاد تسميات جديدة. أي ينتقل فيها المراهق نحو أقرانه أكثر نظرا لما يقدمه خطابهم من إعراف ولو ضمني بكونه لم يعد طفلا، والتي تمنحه بدائل رمزية قادرة على مواجهة قلقه الأساسي. لكن ما ينبغي إيضاحه هو أن هذه العملية مرهونة بالتاريخ الطفولي للمراهق، إذ تشهد هذه المرحلة عودة إشكالات الطفولة -الأدبية وما قبلها- وليس هذا فحسب بل إن عملها الأساسي كما تداول هذا الأمر (De Abreu E Silva 2004) يكمن في حل وتجاوز هذه الإشكالات، إذ يجب على المراهق أن يحزن على فقدان أشياء الطفولة وإستثمارته الأدبية، وذلك بغرض حدده (Dargent (2011 بكونه تأكيداً للذات بإعتبارها ذات راغبة، متجاوزا بذلك اوضاعه الطفولية. لذا فالمراهقة من وجهة نظر لأكانيه، وإعتمادا على ما جاء عند (Tisso (2023 في وضعية يتم فيها حل بذلك عقدة اللأكانيه RSI (الواقعي، الرمزي، الخيالي)، ثم تُعقد من جديد بشكل مختلف وفقا لآفاق الرشد.

وبغرض فهم البنية اللاشعورية للحدث المنحرف، فمن الضروري التوقف عند الإشكال الهوياتي الذي على المراهق أن يعالجه. وكما تشير الأدبيات السيكلوجية، فإن هذه المرحلة تتميز بأهمية نظرة الآخرين حيث تلعب النظرة والكيفية التي يُنظر إليه المراهق كما يؤكد ذلك (Maïdi (2008 أهمية كبرى في علاقاته الشخصية وذلك بإعتبارها طريقة للبحث والإجابة "عما يكونه"، وإعتمادا على ذلك فهو وفقاً ل Tisso (2023) يسعى إلى تحديد هويته من خلال نظرة الآخر. إذ أن تموقعاته الطفولية لم تعد قادرة على تقديم إجابات يمكن التماهي معها وهذا بفعل واقع البلوغ الذي أحدث شرخا هواميا لديه. فالمراهق في مجتمعات الحداثة أو في إطار التحول إلى ذلك، يواجه فيها غيابا أساسا لتمثل "من يكون" الأمر الذي يدفعه لإستكشاف مختلف الأدوار والقيم وذلك في إطار بناء تعريف حول نفسه. إلا أن هذه الأدوار بحاجة لأن تحمل نوع من الأهمية

الاجتماعية والرمزية بالنسبة لمن هم في محيطه حتى تكون قابلة للتماهي معها، وعلى المستوى الرمزي فعادة ما تأخذ هذه الأدوار "دلالة" توفر "رأسماً رمزياً" والتي يكتسب من خلالها الشخص نوع من السلطة والإعتراف داخل الجماعات التي ينتهي إليها بصفة عامة.

وإنطلاقاً من هذه الوضعية، فإن الانحرافات هي الأخرى أحد الإستراتيجيات التي يمكن أن يلجأ إليها المراهق من أجل يصبح مرئياً. خاصة في حالة انتمائه لجماعات تحمل دلالة الانحراف، حيث تقدم هذه الجماعة النظرات اللازمة التي تجعل المنتهي إليها يفخر بسلوكاته ويتماها معها تبعاً لما ينتج عن هذه النظرة من ابتهاج ومتعة، وذلك لما توفره كما جاء عند (Quentric 2013) من تمجيد نرجسي. مما تجعل المراهق قادراً على التماهي مع معايير الجماعة وأن كانت مناهضة للقيم الاجتماعية السائدة وهو بتالي يبحث عن صورة مكتملة عن ذاته من خلال الانتماء إلى جماعات هامشية.

إذن، فالجماعات التي تُعرف بـ "الهامشية، الانحراف، عصابات الأحياء، أصحاب الرحلة" تقدم تمجيدها للصورة النرجسية لأعضائها كمقابل للخطاب "الأبوي الرسمي" الذي يدفعهم بشكل أساسي لمواجهة الخصاء الرمزي ونقصان الصورة المثالية.

5. مفهوم الذات والجنوح في سياق البنية اللاشعورية:

أشار يحيياوي (2018) إلى أن الجنوح في القراءة اللاكانية هو حوار عنيف من أجل أخذ الاعتراف من قبل الآخرين، حيث يتحول العنف الجسدي ومختلف أشكال الجنوح إلى أساليب كلامية تُعبّر الذات من خلالها. بالتالي فالسلوك الجانح يمكن قراءته أنه رمز للتبادل الاجتماعي، يعكس رسائل يمكن فك شفراتها في السياق التفاعل. فالسلوكيات الإجرامية والمنحرفة لا يمكن اختزالها في الخبرة الداخلية كما لو كان إرادة شريرة مثلما هو الحال في التأويلات الثيولوجية القديمة، أو مجرد اضطراب في الشخصية كما هو الحال في علم النفس المرضي، بل أن مثل هذه السلوكيات تحتاج أن تُفهم ضمن حدود تفاعلات اجتماعية لها قواعدها، رموزها وقيمها التي من خلالها يصبح لهذا السلوك معنى ما.

وذلك بمنطلق :

- إن الجنوح لامتعى له إلا من خلال كونه يحمل دلالة إجتماعية. ودلالة الفعل الجانح هي ما تجعل الذات قادرة على استدخالها في نطاق بنيتها النفسية.
- فالسلوك الجانح بذلك خطاب موجه للآخر من أجل أخذ نظرة او إعتراف، مقاومة لاشعورية او حتى إنكار سلطة الأب الرمزي.
- ثم إن مفهوم الذات الذي يشكله الفرد حول نفسه لا يكون بمعزل عن وجوده الإجتماعي.
- بالإضافة لذلك فمفهوم الذات بدوره يخضع للبنية اللاشعورية، فهو ليس متماثلا بين الوضعية ما بعد الأدبية، الأوديبية، ما قبل الأوديبية ولا يمكن فهمه بمعزل عن ذلك.

ونظراً لكون الإنحراف عادة ما يرتبط بالوضعيات ما قبل الأوديبية، فإن مفهوم الذات والجنوح لديهم هو كذلك يخضع لنفس المنطلق، حيث ان الصورة الفكرية التي يرسمها الشخص عن نفسه تنتظم وتؤطر وفقاً لهوام القدرة الكلية كما اشرنا إليها سابقاً، والسلوك الإجرامي بذلك يخدم نفسه الهوام. والغرض من هذا التأطير هو بقاء الشخص حبيساً للوضع الخيالي مغتربا في صورته المثالية "كفالوس لأم". اذ أن لجوء الذات (في الوضعية ما قبل الأوديبية) إلى سلسلة الدوال، ليس الغرض منه بناء تماهيات جديدة وإيجاد مسارات تسمح لها بتوليد تضافر بين المتعة والمتطلب الإجتماعي، بل الحفاظ بشكل باثولوجي على "مثالية الأنا" (The Ideal ego) بتالي مقاومة ورفض النقصان، والذي يعنى برفض وإنكار حالة الخصاء الرمزي. حيث يصبح الإجرام دال يشار من خلاله إلى الذات (Me)، بما هي حالة من الكمال النرجسي. وذلك بما توفره هذه السلوكات - الإجرامية- من نظرة، إعتراف، تقدير داخل الجماعة الهامشية التي ينتهي إليها المراهق المنحرف. لكن هذا الأمر يتطلب تأكيداً من الجماعات الرسمية وذلك من خلال ردود أفعالهم التي يمكن القول انها "إزدراية" التي تحمل تمثلات "الرفض الإجتماعي". حيث تقدم هذه الردود والتي تقوم على العزل، الإبعاد، التوبيخ أمام العلن... إلخ التأكيد الهوامي

على أهمية الذات (Me) أمام الآخر الصغير- أي المشابه- وإن كان بالنز هو يبقى مرثيا، ولهذا فإنه كما جاء عند (Quentric 2013) تتحول صفة "الجانح" من كونها إزدرائية إلى مُشجّعة، وذلك لإرتباطها بالتماهي البطولي (Heroic Identification) حيث يصبح تجاوز القانون أو القواعد شكلاً من أشكال البطولية، والتمرد عن القانون بذلك يمثل "الدال" الذي يفتخر به داخل الجماعة التي ينتمي إليها، فهو يشبه "إمتلاك فالوس" اللأم. وعليه فتماهي مع هذا "الدال" يأتي لخدمة الكمال النرجسي.

مع العلم انه يمكن ان تأخذ هذه العملية مسارا عُصابيا، أين يصبح فيها التمرد عملية إغواء بدلا من كونه دلالة إمتلاك، بتالي فهو في سياق أوديبي ليس إلا رمزا خارجيا يتم اللجوء إليه لأغراض يمكن وصفها بكونها اجتماعية، أو بتعبير تحليلي "جنسية". فهو مثلما جاء عند جيچيك (2024) يمثل قِناعًا أو لقبًا رمزياً موجه بشكل أساسي للآخر. أي بإعتباره رسالة يطلب من خلالها الحب والإعتراف، لكنه على عكس الحالات ما قبل الأوديبية لا يبحث عن تأكيد لمثالية الأنا (The Ideal ego)، بل ينطلق من نقصائها. فهو على حد تعبير (Kleiber et al. 1981) يستعين بدلالة هذه السلوكات كأمل في الإجابة على سؤال الرغبة الأساسي: ماذا يريد مني الآخر؟ وهو تبعا للوضعية الأوديبية يبحث عن موضوع الرغبة الذي لا يملكه، مفترضا بأنه لدى الأب (الرمزي). أين يتمظهر هذا الموضوع تحت ظروف إجتماعية خاصة – على شكل عدوان أو أعمال إنتهاكية، إذ تصبح بذلك الأعمال الإنتهاكية إستعارة من إستعارات اسم الأب نظرا لكونها محمولة بتمثلات عادة ما يؤخذ بها الإعتراف الإجتماعي في هكذا ظروف، على غرار: رمزية الرجولة.

و مفهوم الذات - تبعا لهذا الطرح وبإعتباره تمثلا عن الذات (The Subject) مرهون بالكيفية التي تنتظم بها مختلف الدوال (من بينها دال السلوك الإجرامي والانحراف) تبعا للبنية اللاشعورية التي تفرض مسارا على هذا الإنتظام، ليشكل بذلك تمثلا ما عن الذات والتي تسمى بالأنا (Me) وفقا لشرط تملها البنية اللاشعورية. وعلى ذلك فإن علاقة مفهوم الذات بالسلوك الإجرامي والانحراف ليست مباشرة ولا خطية. بل تسبقها بنية لاشعورية تؤطر هذه العلاقة وتنظمها وتحدد اغراضها تبعا لما يخدمها. وهي

تتحدد بذلك وفقاً للعقدة البوريمية (الواقعي، الرمزي، الخيالي). حيث تكون مرتبطة بهوام القدرة الكلية في الحالات ما قبل الأوديبية، أما بالنسبة للبنيات العصابية فهي مرهونة بنقصان الذات وخصائها.

6. خاتمة:

إن العلاقة القائمة بين كل من مفهوم الذات، الحدث المنحرف، والسلوك الإجرامي ليست واضحة كما تبدو للوهلة الأولى؛ بل هي مركبة نتيجة لتعدد الطبقات الذي يمكن أن تقرأ بها وتفهم من خلالها هذه المفاهيم، لكون الأحداث المنحرفة والسلوكيات الإجرامية هي إشكالات اجتماعية قبل أن تكون تساؤلات أكاديمية، مما يجعلها تخضع لتأويلات إيديولوجية سواء من حيث التحديد أو من الكيفية التي ينبغي التعامل معها أو حتى تعريف القائمين بها وذلك بتصنيفهم في كليشمات إجتماعية إقصائية. وهذا ما دعنا أساساً لتحديد الموقع الذي ينطلق منه تحليلنا والذي يتصور بأن الانحراف وما يتبعه من سلوكات إجرامية مرهون بدلالته ومعناه في سياق علاقة الذات - بإعتبارها بنية لاشعورية - بالبناء الإجتماعي والرمزي المتواجد مسبقاً عنها. أين تصبح هذه السلوكات رموزاً يتم التماهي معها لأغراض لاشعورية. وذلك في علاقة دائرية بين الماضي الطفولي وواقع البلوغ. ما يؤكد على كونها - السلوكات الإجرامية - عرضاً لمشاكل بنيوية معقدة.

ومفهوم الذات بدوره يخضع لنفس المنهج، وإن كان يمثل عملية معرفية داخلية إلا أننا مع ذلك اشرنا إليه بإعتباره مُتشكلاً من خلال التفاعل مع الآخرين، أين تنتظم نواة هذا المفهوم تبعاً لموقعية الذات في خطاب الآخر خاصة تلك المرهونة بالطفولة: كموقعها في خطاب الأم، حضور أو غياب الأب الرمزي بتالي موقع الطفل في الخطاب الوالدي عموماً. ليأتي بعد ذلك واقع البلوغ، مثيراً هذه الإشكالات من جديد. لإيجاد حلولاً لها قد يلجأ المراهق إلى المعنى الخفي وراء الجنوح، كإستراتيجية للتعامل مع الإشكالات اللاشعورية.

وبالتالي، فإن معالجة إشكالية الجنوح تتطلب من جهة وعلى المستوى العلائقي: وضوح موقع الأب - كإسم أو رمز - في خطاب الأمومي وذلك بإعتباره العنصر الثالث من المعادلة (طفل-أم-أب) حتى تتموقع الذات بشكل دياكتيكي مع السلطة بتالي إمكانية تنظيم المتعة

بما يتوافق مع القواعد الإجتماعية، وهذا الأمر يكون خاص بالطفولة. اما على المستوى المجتمعي: فينبغي إعادة بناء شبكة التمثلات والرموز الإجتماعية بما تخدم الحياة المشتركة بين الأفراد والجماعات والتي من شأنها ان تتحول إلى رأسمال رمزي يمكن التماهي معه، بتالي تزويد المراهق برموز بديلة، تسمح له بالاندماج داخل النظام الرمزي ككائن راغب، وتمكّنه بذلك من بناء مفهوم لذات يقبل طبيعة الحياة الإجتماعية مع المحافظة على كونه كائنا راغباً.

اما على المستوى الأكاديمي فإننا بحاجة لفهم و إعادة تعريف اللاشعور وإخراجه من النموذج الفردي والغريزي-التصور الكلاسيكي- نحو فهمه بإعتباره نظام "تفاعليا مع الآخرين" سواء أخذ الأمر شكلا أوديبياً او ما قبله وذلك في سياق إجتماعي معين له خصوصيته التفاعلية والرمزية، بالإضافة لذلك العمل على إعادة بناء الكيفية التي نفهم بها تأثير العلاقات الأسرية، الزملاء والأصدقاء، المعلمين في تشكيل الذات وكذلك تأثيرها في إنتاج السلوكات المرفوضة، آخذين بعين الإعتبار أهمية التمثلات الثقافية والإجتماعية في ذلك، بمنطلق أساسي يقول: ان الفرد لايمكن عزله عن سياقه الإجتماعي كما أن فهم سلوكه ينبغي ان يأخذ هذا الأمر بعين الإعتبار.

7. قائمة المراجع:

• الكتب:

1. الحيدري، جمال ابراهيم. (2009). علم الإجرام المعاصر (ط2). بيروت: دار النهضة العربية.
2. الشاوي، منذر. (2011). فلسفة القانون (ط2). عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
3. جيجيك، سلافوي. (2024). كيف تقرّ لاكان. (عبد الفتاح عبد الله محمد ترجمة، مترجم). المملكة المتحدة: مؤسسة الهنداوي. (العمل الأصلي نشر في 2006).
4. Cannard, C. (2019). Le développement de l'adolescent : L'adolescent à la recherche de son identité. (3e éd.). De Boeck Supérieur. <https://shs.cairn.info/le-developpement-de-l-adolescent--9782807320383?lang=fr>.



- 5.Clinard, M. B., & Meier, R. F. (2011). *Sociology of deviant behavior* (14th ed). Wadsworth Cengage Learning.
- 6.Florence, J. (2005). La fonction du nom du père chez Lacan. Une approche psychanalytique de la nomination. In F. Coppens (éd.), *Variations sur Dieu*. Bruxelles: Presses universitaires Saint-Louis Bruxelles. <https://doi.org/10.4000/books.pusl.21685>.
- 7.Frazier, J. D., Schreck, C., & Rogers, E. M. (2024). Delinquency. In *Encyclopedia of Adolescence* (e. g.2, pp. 174–186). <https://doi.org/10.1016/b978-0-323-96023-6.00119-6>
- 8.Goode, E. (2015). The Sociology of Deviance. In *The Handbook of Deviance*, E. Goode (Ed.). <https://doi.org/10.1002/9781118701386.ch1>.
- 9.Kleiber, M., Remy, J., Bogaert, P.-M., Giblet, J., Florence, J., Weber, P., & Van de Kerchove, M. (1981). *La loi dans l'éthique chrétienne*. Bruxelles: Presses universitaires Saint-Louis Bruxelles. <https://doi.org/10.4000/books.pusl.8399>
- 10.Maïdi, H. (2008). *Les souffrances de l'adolescence: Trauma et figurations du traumatique*. Presses Univ. Franche-Comté.
- 11.Marc, E. (2005). *Psychologie de l'identité soi et le groupe*. Dunod.

• الأطروحات:

1. يحيياوي، محمد حبيب. (2018). التدخل المعرفي السلوكي لتعديل مفهوم الذات لدى الحدث الجانح -دراسة عيادية- (اطروحة دكتوراه). كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر -باتنة-، الجزائر.
2. توهي، سفيان. (2018). مساهمة اللغة في بناء هوية المراهق من خلال الأسلوب الكلامي -دراسة عيادية لخمس حالات ذكور- (اطروحة دكتوراه). كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بن أحمد -وهران-، الجزائر.

1.Boiron, S. (2011). Au sujet du passage à l'acte délinquant chez les adolescents contemporains issus de populations migrantes, quels sont les liens avec l'intégration des parents et l'intégration des jeunes (telles qu'elles sont perçues par les adolescents), le niveau d'estime de soi et l'anxiété. [Thèse de doctorat, Université de Grenoble]. HAL Thèses: <https://theses.hal.science/tel-00724472>



- 2.CADIOU Sandra (2018), *Didactique clinique de l'écriture de fiction en lycée professionnel : division du sujet et conversion didactique dans l'apprentissage*, [Thèse de doctorat, Université Toulouse 2]. <https://hal.science/tel-01899979v2>
- 3.Canonge, X. (2011). Le regard de travers : tentation imaginaire de la délinquance. [Thèse de doctorat , Université Aix-Marseille]. <https://theses.fr/2011AIX10112>
- 4.De Abreu E Silva, R. (2004). a délinquance juvénile et la question de l'objet. [Thèse de doctorat, Université Paris 13 – Paris Nord]. <https://theses.fr/2004PA131013>.
- 5.Quentric, E. (2013). Idéaux du Moi et transgressions délictuelles à l'adolescence. [Thèse de doctorat, Université Paris V– René Descartes]. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel00926889>
- 6.Reis , N. (2018). : L'étude du narcissisme dans la perspective de la psychose ordinaire. [Thèse de doctorat, L'Université Paris VIII Vincennes – Saint-Denis] theses.fr: <https://theses.fr/2018PA080142>

• المقالات

- 1.الحديني، وفاء مسعود محمد. (2012). الإدمان كعرض جديد : دراسة في البنية الإكلينيكية للذات المدمنة عند جاك لكان. مجلة كلية الآداب بقنا، العدد39، ص 41-15. تم الإسترجاع من https://journals.ekb.eg/article_113759.html
- 2.لعوارم، وهيبة. (2018). النظام العقابي للطفل الجانح قراءة تحليلية لقانون حماية الطفل. مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية. 11، ص 196- 180. تم الإسترجاع من <https://asjp.cerist.dz/en/article/81710>
- 1.Alami, A. (2017). La délinquance des jeunes libanais Les effets de la guerre civile . Al Jinan, 9, 101-120
- 2.Carrasco, M. B., & Bidaud, É. (2016). Nom, acte et création. *Adolescence*, 34 (2), 333–346. <https://doi.org/10.3917/ado.096.0333>
- 3.Corvez, M. (1968). Le structuralisme de Jacques Lacan. *Revue Philosophique De Louvain*, 66(90), 282–308. <https://doi.org/10.3406/phlou.1968.5434>.



4.Dargent, F. (2011). Le tourment adolescent. Divergences et confluences. *Adolescence*, 29(1), 191-200. <https://doi.org/10.3917/ado.075.0191>.

5.Dupret, M.-A. (2015). Délinquance juvénile : l'imaginaire de l'acte. *Cliniques*, 10(2), 140-153. <https://doi.org/10.3917/clini.010.0140>.

6.Epstein, S. (1973). The self-concept revisited: Or a theory of a theory. *American Psychologist*, 28(5), 404-416. <https://doi.org/10.1037/h0034679>

7.Gecas, V. (1982). The Self-Concept. *Annual Review of Sociology*, 8(1), 1-33. <https://doi.org/10.1146/annurev.so.08.080182.000245>.

8.Lallouna, T. (2022). **Psychological Perception of the Self Concept**. *Journal of Studies in Deviation Psychology Bi-annual international journal*, 07 (03), 816-826.

9.Lofts, S., & Rosemann, P. W. (1994). Penser l'Autre. *Revue Philosophique De Louvain*, 92(1), 82-97. <https://doi.org/10.2143/rpl.92.1.556244>.

10.Markus, H., & Wurf, E. (1987). The Dynamic Self-Concept: A Social Psychological Perspective. *Annual Review of Psychology*, 38(1), 299-337. <https://doi.org/10.1146/annurev.ps.38.020187.001503>

11.Marsh, H. W., & Shavelson, R. (1985). Self-Concept: its multifaceted, hierarchical structure. *Educational Psychologist*, 20(3), 107-123. https://doi.org/10.1207/s15326985ep2003_1

12.Martín-Talavera, L., Gavín-Chocano, Ó., Sanz-Junoy, G., & Molero, D. (2023). Self-Concept and Self-Esteem, determinants of greater life satisfaction in mountain and climbing technicians and athletes. *European Journal of Investigation in Health Psychology and Education*, 13(7), 1188-1201. <https://doi.org/10.3390/ejihpe13070088>.

13.Nalah, A. B., & Ishaya, L. D. (2013). A conceptual overview of deviance and its implication to mental health: A biopsychosocial



perspective. *International Journal of Humanities and Social Science Invention*, 2(12), 1-9.

14. Tissot, P. (2023) Corps d'adolescents et fonction du regard. *Estilos Da Clinica*, 28(3), 352-364.

• المواقع الإلكترونية

1. Leguil, C. (2019). Le sujet lacanien, un « Je » sans identité. *Asterion* [En ligne], 21, consulté le 12 décembre 2025. URL : <http://journals.openedition.org/asterion/4368> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/asterion.4368>.

2. Konrad, A. (2017, December 17). *L'adolescence : une expérience à (re-)vivre sans âge*. Analyse Freudienne. . Retrieved October 25, 2025, from <https://www.analysefreudienne.net/blog/anna-konrad-ladolescence-une-experience-a-re-vivre-sans-age/>

3. Korzine, F. (2024, August 11). Pourquoi explorer «Les Noms-du-Père» est-il intéressant pour comprendre la psyché ?. *Psy Coach Versailles*. Retrieved December 2, 2025, from <https://www.psy-coach-versailles.com/blog/pourquoi-explorer-les-noms-du-pere-est-il-interessant-pour-comprendre-la-psyche>

4. Koreicho, N. (2025, March 23). *Moi idéal et idéal du moi*. Institut Français de Psychanalyse. . Retrieved December 9, 2025, from <https://institutfrancaisdepsychanalyse.com/moi-ideal-et-ideal-du-moi/>